حال اللغة العربية ووسائل النهوض بها

د. وفاء كامل فايد

تمهيد عن اللغة والهوية:

اللغة قوام الفكر والثقافة. وهي أبرز مقومات الشخصية؛ إذ إنها الإطار الذي يحفظ كيان أصحابها ويحدد هويتهم، فضلا عن أنها مرآة العقل، ووعاء الأفكار والمشاعر، وأهم مظهر يتجلى فيه إبداع أبناء الأمة.

ولغتنا العربية من الركائز الأساسية للوجود العربي، فالوحدة اللغوية والثقافية بين الأقطار العربية – التي لا تتم إلا بالمحافظة على اللغة العربية- تؤدي إلى وحدة الشعور والفكر والاتجاه. بل لعل اللغة العربية هي أقوى الروابط التي تجمع بين أقطار العالم العربي؛ إذ هي الجامع النهائي لنا بوصفنا أمة وتاريخا وحضارة وثقافة، وهي الدرع الواقي لأمتنا في مواجهة جحافل الغزو الثقافي إبان عصر المعلومات، العصر الذي صار فيه التفوق المعلوماتي قادرا على تحييد القوة العسكرية، أو هزيمتها بتكلفة أقل.

واللغة من أهم الوشائج الاجتماعية بين أبناء الأمة؛ إذ هي وسيلة تخاطبهم التي تقوم بها الصلات. وتحقق تبادل المنافع بين أفراد الجماعة، فتربط بعضهم ببعض، وتضعهم على درب موحد من الرؤى والاتجاهات؛ فيقوى بناء المجتمع وتتماسك لبناته. وهي رابطة فكرية تمثل ذاكرة الأمة، فتختزن تراثها ومفاهيمها وقيمها.

وإضعافُ اللغة العربية أو ضياعُها يعني تحطم الوعاء الأول للثقافة، والمخزون التاريخي للتقاليد والأعراف والفنون والإبداعات. ومع مرور الوقت تذوب الهوياتُ الحقيقية، وتُطمَسُ الملامح الذاتية.

ودور اللغة في مجتمع المعرفة جوهري: فاللغة محورية في منظومة الثقافة؛ لارتباطها بجملة مكونات الثقافة من فكر وإبداع، وتربية وتعليم، وتنوير وإعلام، وتراث وقيم ومعتقدات.

وتنطوي علاقة اللغة العربية بنقل المعرفة واستيعابها على عدد من القضايا، على رأسها قضيتان محوريتان مترابطتان هما: تعريب التعليم الجامعي في الكليات العملية، وتعليم اللغة العربية.

فتعريب التعليم الجامعي شرط أساسي لتنمية أدوات التفكير، وتنمية القدرات الذهنية والملكات الإبداعية، فضلا عن تنمية المعرفة المتسارعة المتجددة. ولا يمكن أن تقوم للعلم المتميز عندنا قائمة إلا إذا تعلمناه ورسخ في فكرنا بلغتنا القومية، وغرست بذرته وترعرعت في أعماقنا؛ فصار منا علماء ينتجون العلم، ويضيفون إليه. وفي هذه الحالة لو انقطعت الصلة بيننا وبين العالم كله لبقي العلم مزدهرا عندنا.

وباللغة الأم وحدها يتم للأمة التقدم العلمي والثقافي والحضاري، والذين ينبغون بغير لغاتهم في مواطن غريبة قلة نادرة لا يقاس عليها، ولو توافرت لهم الإمكانات في بلادهم لكان تفوقهم أعظم وأكبر.

تواجه اللغة العربية في عصرنا الحالي تحديات كبيرة: تربويةً وثقافيةً وسياسيةً واقتصادية؛ فقد أصبحنا الآن أمام خطرين داهمين: أولهما يعتمد على الغزو الاقتصادي للشركات الأجنبية وسيادتها في سوق العمل؛ وهو ما يدفعنا إلى تعليم أبنائنا باللغات الأجنبية، وعلى حساب اللغة القومية. والخطر الثاني يقوم على الغزو الثقافي، وتسابق الدول الأجنبية لإقامة مدارس وجامعات تدرس بلغات بلادها، ونحن نرحب طمعا في العلم.

وأمام كل هذا فلا مناص لنا من أن نتعلم العلم بلغتنا القومية إذا كنا نعمل جادين على المحافظة على قوميتنا ووضع أجيالنا القادمة على الطريق الصحيح لاكتساب العلم وامتلاك أدواته. ذلك أننا قد نقبل أن تدخل اللغة الأجنبية بيوتنا وجامعاتنا ومعاهدنا العلمية، لكننا لن نستطيع تعويض ضياع لغتنا القومية؛ لذا فمعادلتنا الصعبة هي أن ننفتح على

الحضارات والثقافات والعلوم الحديثة والمتطورة مع الحفاظ على هويتنا وذاتيتنا وشخصيتنا ولغتنا، وهو ما يحفظ لنا قوميتنا وكرامتنا.

وهكذا نرى أن قضية التعريب لم تعد نابعة من الحمية القومية أو المحافظة على الهوية الثقافية فحسب بل صارت أداة لا غنى عنها لصقل أدوات التفكير، وتنمية القدرات الذهنية والملكات الإبداعية. وقد أشار تقرير التنمية الإنسانية في الوطن العربي، الصادر في نهاية عام ٢٠٠٣ إلى أن « طريق التنمية لا يتحقق عبر الثقافات الوافدة، كما لا يؤتي ثماره من خلال لغات الآخرين، وإن كان يُثرى من تجارب الآخرين بعد ترجمتها إلى اللغة الأم «.

وتعليم اللغة العربية شرط للحفاظ على الهوية، والشعور بالانتماء، وعدم الانسلاخ عن تراثنا وتاريخنا وحضارتنا، والاعتزاز بأمجادنا، وهو ما يبعث الأمل في العمل على استعادتها. واللغة ليست أمرا ثانويا في حياة الإنسان، أو مجرد أداة تواصل في مجتمعه، بل هي قوام فكره وخياله ووجدانه، وصيغة قيمه وعقائده.

والتعليم والتعلم باللغة الأم من الأسس التي يؤيدها علم النفس اللغوي. وفي تقرير شامل أعده خبراء منظمة اليونسكو عن قضية استخدام اللغات الوطنية في التعليم، أوصى واضعو التقرير باستخدام اللغة الأم في التعليم لأعلى مرحلة ممكنة. وشدد التقرير على ضرورة تعليم التلاميذ في المراحل الدراسية الأولى بلغتهم الوطنية؛ لأنهم يفهمونها ويتقنونها أكثر من غيرها.

إن اللغة الانجليزية تحتل مكانة متقدمة في العالم، فهي اللغة الأولى حين نقدِّر عدد المتحدثين بها بوصفها لغة رسمية، ولكنا لا نعرف بلدا واحدا– في غير العالم العربي– أقدم على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وألبانيا وإسرائيل.

نحن نعيش في زمن يعز علينا فيه حال لغتنا العربية، التي هانت على ألسنة أبنائها، من المتعلمين وغيرهم، في عصر أعشى نظرَنا فيه الانبهارُ بالحضارة والثقافة الغربية، وسُخِّرت فيه كل الوسائل للتأثير على أبناء العربية ودفعهم إلى هجرها والتحدث بغيرها، أو تطعيم عاميتهم باللغات الأجنبية؛ في تجسيد حي لعقدة الخواجة التي تعكس انبهارنا بتفوق الآخر.

علينا ألا ننسى أن الوعي بالهوية والقومية دفع فرنسا إلى تنقية لغتها من التلوث اللغوي الذي أصابها من مفردات الانجليزية: بقانون لحماية اللغة الفرنسية أقرته الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٩٤م. كما رسمت فرنسا سياسة لغوية لجأت فيها إلى سن القوانين بما يحفظ للأمة مظهر حياتها العقلية؛ فاستطاعت الحفاظ على اللغة الفرنسية. ونلحظ أن الانجليزية البريطانية تحرص على تنقية نفسها مما يصيبها من تلوث من الانجليزية الأمريكية. كما أن اللغة العبرية الحديثة لم تحقق ما حققته من مكانة، لتصبح اللغة الوطنية لدولة إسرائيل، إلا نتيجة لتنامي الشعور الوطني والإرادة الجماعية لليهود.

ولا ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد اجتمع فيها من الأجناس والأعراق ما لم يكن يسمح بأي تواؤم ثقافي، ولكن اللغة الانجليزية التي ربطت بينها حسمت هوية قومية ما كان لها أن تتشكل لولا التوحيد اللغوي.

وإذا كان هذا هو حال لغتنا العربية الآن، فكيف السبيل إلى النهوض بها وإقالتها من عثرتها؟!

أظن أن الواجب علينا تكريس جهدنا لخدمة لغتنا العربية على الجانبين الدراسي والبحثي. فمن جوانب النهوض بلغتنا العربية نرصد العناصر التالية:

١) تحديث المعاجم العربية وإثراؤها بالتصاحبات اللفظية والتعابير الاصطلاحية.
٢) دراسة اللهجات، وربطها بالعربية الفصيحة.
٣) تعزيز دراسة الصوتيات العربية وتوصيفها.
٤) تبسيط نحو اللغة العربية، ودراستها من خلال تحليل النصوص.
٥) الاهتمام بدراسة الاستعمال المعاصر للغة العربية.
٦) الاهتمام بالدراسات العربية البينية.
٧) الاهتمام بالدراسات المقارنة والتقابلية بين العربية وغيرها من اللغات.

ثم نأتي إلى تفصيل الحديث

عن هذه العناصر:

أولا: تحديث المعاجم العربية وإثراؤها بالتصاحبات اللفظية والتعابير الاصطلاحية:

اللغة لا تقتصر على المفردات، بل تتعداها إلى التجمعات اللفظية، التي تتكون من مفردات ومركبات تتصاحب لتكوّن مفهوما خاصا، لا يؤديه التعبير بالكلمة المفردة. ولما كانت مهمة المعجم لا تقتصر على تقديم معنى الكلمة المفردة للقارئ، بل تتعدى ذلك إلى مساعدته على فهم النص المقروء واستيعابه، والتعبير الصحيح باللغة؛ لذا كان على المعاجم أن تُدخِل التجمعات اللفظية في دائرة اهتمامها. وقد اهتمت المعاجم الغربية بهذه التجمعات وأدرجتها في معاجم اللغات الأوربية. ولم تُولِها المعاجم العربية عناية كافية. ومن أنواع التجمعات اللفظية:

أ- التصاحب اللفظي١ Collocation:

تجمُّع من الكلمات المتجاورة نحويا، والمترابطة في الاستعمال، يشكل مركبا منسجما من الناحية الدلالية. والكلمات المفردة المكونة لهذه التصاحبات تحتفظ بمعانيها؛ بحيث يرتبط معنى التصاحب اللفظي بمجموع معاني الكلمات المكونة له.

ومن أمثلته: السوق الحرة، السيولة المرورية، الرسوب الوظيفي، البطالة المقنعة.

ب- التعبير الاصطلاحي Idiom٢:

مجموعة ثابتة من الكلمات، تشكل تعبيرا يحمل معنى خاصا، لا يمكن استنتاجه من مجموع معاني كلماته المفردة، مثل: السوق السوداء، حَجَر الزاوية، دَمُهُ أزرق.

ت- الأفعال العبارية٣ Phrasal verbs:

الفعل العباري تعبير متعدد الكلمات يضم الفعل وواحدا أو أكثر من الكلمات الوظيفية، مثل الظروف وحروف الجر. ويستعمل المركب الفعلي العباري- غالبا- بمعنى اصطلاحي يختلف عن معناه الأساسي. ومن أمثلة الأفعال العبارية: رغب فيه، رغب عنه، ركب فوق أكتاف فلان، رمى إلى كذا، رمى فلانا بكذا، رمى بثقله.

وتعاني المعاجم العربية قصورا في معالجة التجمعات اللفظية: ففي كثير من المعاجم التي خلَصت لهذا النوع نقصٌ في استيعاب التجمعات اللفظية. كما أن بها خلطا في التعامل مع أنماط متباينة من التجمعات اللفظية.

مستويات التجديد في هذه المعاجم:

× التجديد على مستوى التأسيس النظري: فالتجمعات اللفظية بحاجة- في السياق العربي- إلى تحديد أنماطها واستخلاص معالم كل نمط، وأنماطه الفرعية، ومتطلباتها التي يُحتاج إليها؛ لكي يمكن تمثيلها في المصادر المعجمية العربية، وبالتالي ضبط طريقة معالجتها في العمل المعجمي. وتحديد أنماط المعاجم القطاعية التي تنقص العربية.

× التجديد على مستوى المادة: ويعني عدم الاكتفاء بنقل التجمعات من المعاجم العربية المنجَزَة، بل الحرص على تجاوز ذلك إلى التجمعات التي تحيا في النصوص العربية خارج المعاجم. وهو ما يجعل استخدام المدونة المحوسبة أمرا ضروريا.

× التجديد على مستوى تقانات المعالجة: ينبغي أن يعتمد العمل جانبين من التحليل:

أ- التحليل الإحصائي يتم فيه استخلاص التجمعات اللفظية أيًّا كانت طبيعتها، معتمدا خوارزميات algorisms رياضية ترصد التصاحبات في المدونة النصية corpus المعتمَدة، ويقوم الرصد على أسس شكلية فحسب، ثم تفهرس عن طريق المفهرِس الآلي. وتظهر مخرجات التحليل في صورة يسهل التعامل معها من قبل اللغويين في الجانب التالي من التحليل.

ب- التحليل اليدوي من قبل اللسانيين المتخصصين، ويتم فيه فصل التجمعات الاعتيادية أولا، ثم تحليل السياقات التي وردت فيها التجمعات؛ لمعرفة طبيعتها، وتصنيفها حسب نوعها، واستخلاص المعلومات المختلفة التي تقدم في التمثيل.

× التجديد على مستوى المُخرَج المعجمي: ينبغي أن يُعتَنى- إلى جانب إخراج المعاجم الورقية- بإخراج معاجم

حاسوبية أو قواعد بيانات للتجمعات اللفظية، باعتبارها القسيم الثاني للكلمة في بنية المعجم اللغوي.

ثانيا: دراسة اللهجات، وأهميتها:

في العالم العربي لهجات متعددة متباينة. وقد أدى إلى اختلاف هذه اللهجات تأثر اللغة العربية باللغات الأصلية فى كل قطر، إلى جانب اللغات الأجنبية التي وفَدت إلى معظم تلك البلاد وأثّرت فى لهجاتها.

كان لنظرة العلماء العرب الأقدمين إلى اللغة الفصحى أثر فى إهمال دراسة اللهجات. ويرجع ذلك إلى معيار الصواب والخطأ الذي حاولوا به تنقية لغتهم، والإصرارِ على تسجيل اللغة العربية الخاضعة لحدود زمانية ومكانية معينة. وقد أدى ذلك إلى ضياع ظواهر كثيرة من اللهجات العربية؛ فلم يصل إلينا منها سوى ما جاء متناثرا فى ثنايا الكتب المختلفة٤، إلى جانب ما اشتملت عليه كتب التصويب اللغوي٥.

الآن تهيأت الظروف المُعينة على دراسة اللهجات الحديثة دراسة واقعية تجريبية؛ وهو ما يؤدي إلى الحصول على دراسات لها قيمتها، يمكن من خلالها عمل مسح علمي للهجات العربية؛ يفيدنا فى الدراسة العلمية الدقيقة لها وفي مقارنتها بالفصحى، ثم في تسجيل هذه اللهجات بوصفها وثائق علميةً تفيد الأجيال القادمة في بحوثهم ومعرفة تاريخ لغتهم٦؛ فاللهجات الحديثة تمثل الواقع اللغوي المعاصر، وتُسجل أنماط السلوك فيه، وهي الوريث الباقي الحافظ لكل تاريخ اللغة وتراثها اللغوي والثقافي؛ فمن الأهمية بمكان الحرص على تسجيلها ودراستها، وعملِ الأطالس اللغوية لها. ورصد تغير الأبنية بين الفصيحة والعامية.

ولنا أن نقدر قيمة هذه الوثائق إذا عرفنا سرعة تطور اللهجات، فاللهجة أكثر عرضة للتطور والتغيير من الفصحى؛ لانتشار وسائل الإعلام المختلفة، التي تَستعمل اللغة الفصيحة أو تحرص على استخدام لهجة العاصمة إلى جانب اللهجات العامية التي يشيع فيها الخلط، وكذلك لانتشار التعليم، وما يتبعه من استخدام لغة (مثقفة) هي أقرب إلى الفصحى منها إلى اللهجة٧.

واللهجات العربية الحديثة هي المستودع الذي ترسب فيه ظواهر لغوية كثيرة انقرضت من الاستعمال الأدبي٨ ؛ فاللهجات الحديثة يوجد بها آثار يمكن عن طريقها تفسير الأصل التاريخي لبعض الظواهر اللغوية في الفصحى٩. ومن ثم تؤدي دراسة اللهجات إلى استنباط القوانين التي خضعت لها اللهجات قديما وحديثا. و«المادة اللغوية التي توجد في الفصحى ولهجاتها مادة متكاملة يفسر بعضها البعض، أو يُكْمل ما قد يحدث به من نقص»١٠. كما أن دراسة نماذج كافيةٍ من اللهجات الحديثة تمكننا من الدراسة المقارنة التي توضح العلاقة بين اللهجات العربية الحديثة والقديمة؛ وهكذا نرى أن «دراسة اللهجات العربية ضرورة لفهم التطور اللغوي للعربية ولتأصيل الدرس اللغوي»١١.

ودراسة اللهجات تتعدى المسائل اللغوية إلى الآداب أيضاً، ومنها الأمثال السائرة، ولها أهمية كبيرة؛ فهي تشكل جزءاً لا يستهان به من حياة الشعب المادية والروحية؛ فتُبرز لنا عواطفه وآماله ومعتقداته وعاداته، وفى هذا ما يفيد علماء النفس والاجتماع١٢.

ثالثا: تعزيز دراسة الصوتيات العربية وتوصيفها:

من المعروف أن علم الأصوات هو اللبنة الأولى في الدراسات اللغوية، وتتفرع دراسته إلى قسمين: أولهما دراسة نظرية وصفية، والأخرى دراسة عملية تجريبية.

من المهم في الدراسة الوصفية لعلم الأصوات النطقي في العربية وصف الوحدات الصوتية باستخدام رموز الرابطة العالمية للصوتيات (IPA) كي نمثل النطق الفعلي للغة أو اللهجة المدروسة. إلى جانب تحديد السمات الفارقة للفونيمات١٣، والقيود التتابعية لها١٤، ودراسة أحكام تنافر أصواتها أو تآلفها، وقوانينها الصوتية١٥. إلى جانب دراسة علم الأصوات التطريزي، من حيث تركيب المقاطع، والنبر، والتنغيم١٦.

ومن الأهمية بمكان دراسة علم الأصوات النطقي دراسة تجريبية باستخدام الأجهزة الحديثة، والتعامل مع البرامج الحاسوبية التي تضبط دراسته وقياساته؛ كي نخلُص إلى نتائج علمية دقيقة. ولا ننسى أن علم الأصوات يشكل أساساً من أسس دراسة

اللهجات.

رابعا: تبسيط قواعد اللغة العربية، ودراستها من خلال تحليل النصوص:

في تيسير النحو، يجدر أن نستخلص القواعد الأساسية التي تصاغ على أساسها الجملة العربية، من خلال آثار الفصحاء المشهود لهم بصحة الأداء منذ الجاهلية إلى العصر الحديث. فنستمد من هذا الإحصاء خلاصة قواعد العربية، مع أمثلتها الوفيرة الممثلة لكل العصور. ويلاحظ أن عدد القواعد فيه يكون محدوداً سهل التطبيق، وذلك يمكننا من تدريسه في المراحل الدراسية المختلفة بدون عناء، ويزيل عقد الطلاب من دراسة النحو؛ ليسره ومرونة أمثلته.

ثم نعمِد إلى دراسة هذه القواعد من خلال النصوص الأدبية الجيدة، التي تقرأ أولا، ثم توضح معانيها، وتحلل أدبيا ولغويا من خلال إعرابها وتحديد ارتباط مكوناتها.

خامسا: الاهتمام بدراسة الاستعمال المعاصر للغة العربية:

نلحظ في الاستعمال المعاصر اختلافا عما هو مرصود بالمعاجم العربية. وقد يقع هذا الاختلاف في البنية الصرفية، أو في التراكيب كالتعدي واللزوم مثلا، أو يكون اختلافا في الدلالة.

فمن أمثلة اختلاف البنية الصرفية في الاستعمال المعاصر للعربية، صيغ الأفعال: فاعَل، (هاتَف)، وتفاعَلَ (تماشى)، وأفعَلَ (أفشل)؛ والمصادر مثل: الاسْتِقْواء، والقولبة، والشراكة؛ وجمع المصدر كما في (التمديدات، والتعديات، والتجليات، والتوجهات)؛ وصيغ المصدر الصناعي المفرد مثل: (احتفالية، وإشكالية، والشرعية)؛ والمصدر الصناعي المجموع مثل: (المحليات والأخلاقيات والسلوكيات)؛ والنسب على غير قياس في مثل: (سُلْطَوِيّ ونَهْضَوِيّ)؛ والنسب إلى جمع التكسير في كلمة (وثائقي).

ومن الكلمات المعرَّبة التي استعملها المعاصرون: (أيديولوجيا)، وكلمة (بيرُوقْرَاطِيَّة).

وفي تركيب الجملة العربية نلحظ عند المحدثين تغيرا في العَلاقة بين مكونات الجملة، وبخاصة في تركيب بعض الأفعال، مثل التعدي واللزوم، أو التغير في استخدام حروف الجر، ونلحظه في: ارتباط الفعل (تعرَّف) بحرف الجر (على). وهذا الفعل يتعدى بنفسه كما يتعدى بحرف الجر (إلى) في المعاجم. وكذلك الفعل (أَكَّدَ) الذي لا يتعدى إلا بنفسه في المعاجم العربية، على حين يتعدى بنفسه وبحرف الجر في الاستخدام المعاصر.

ومن أنواع التغير الذي حدث في الاستعمال اللغوي المعاصر تغير دلالة بعض الكلمات عما هو مرصود بالمعاجم ، مثل: (اسْتِبانَة، والاسْتِنْسَاخ، والتطبيع، والتوأمة، والمَطَبّات).

من هنا نجد ضرورة الاهتمام بدراسة الاستعمال المعاصر للغة العربية؛ لرصده ثم محاولة إدراجه في المعاجم. وعلينا أيضا أن نربط بين الدراسات اللغوية المعاصرة والمشكلات الأدبية والنقدية.

سادسا: الاهتمام بالدراسات العربية البينية:

× علينا أن نهتم بدراسة علم اللغة الاجتماعي الذي يدرس اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، كما يدرسها بوصفها أداة ومرآة وسلاحا، وبوصفها مؤشرا للانتماءات السياسية والعقائدية والمهنية، وانتماءات الأجيال المختلفة (لغة السياسة/ الطب/ القانون/ لغة الشباب). كما يدرس العلاقة بين الموقف الاجتماعي والكلام، وأثرَ اللغة في تشكيل سلوك الجماعة ووجدانها (كلمات العيب والحرام وأثرها في تشكيل سلوك الجماعة). ويدرس أيضا الطرائق التي تتغير بها البنية اللغوية، تلبية لوظائفها وظروفها الاجتماعية المختلفة. وتعالج فيه اللهجات الاجتماعية١٧ و«لهجات النوع»١٨، واللغات الهجينpidgins ١٩، والمولّدةcreoles ٢٠، واللغات الخاصةargots ٢١، والتلطف في التعبيرeuphemism ٢٢، والتحويل اللغوي code-switching ٢٣، والتعريب٢٤ والتغريب٢٥، والازدواج اللغويdiglossia ٢٦، والاقتراض اللغوي٢٧. ودراسة لهجات الطبقات الاجتماعية المختلفة تفتح آفاق البحث في طرائق تطور اللغة، وتأثرها بالمظاهر الاجتماعية.

× وعلينا أن نهتم بعلم اللغة النفسي، الذي تتدخل فيه العوامل النفسية محددًا من محددات الدلالة، حيث يكون السلوك اللغوي للشخصية مرتبطا بالتكوين النفسي لها. وهو علم يهتم بالأمور التي تتناول العلاقة بين اللغة والعقل الإنساني، مثل العمليات التي يتم بها اكتساب اللغة واختزانها، واستدعاؤها، وإدراك الكلام. كما يتعامل مع آلية اكتساب كل من اللغة الأولى والثانية. وطبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير، وعلاقة اللغة بالشخصية، ووظيفة اللغة في حالة الصمم. كما يدرس أثر اختلال الوظائف النفسية في اختلال السلوك اللغوي. وهو ما يسمى بأمراض الكلام. ويلقي الضوء على النتائج الحديثة في دراسة اللسانيات العصبية.

× ولا نغفل علم اللغة التاريخي الذي يدرس التغيرات التي تطرأ على نظام اللغة نتيجة لاختلاف المراحل التاريخية. ويضيء لنا دروب التغير اللغوي: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي، ويسهم في صنع المعجم اللغوي التاريخي للعربية، الذي تفتقر إليه لغتنا العربية، والذي يرصد ما طرأ من تغير على معاني الكلمات، وما أصابها من تخصيص أو تعميم، ومن تقييد أو إطلاق، ومن رقي أو انحطاط في الدلالة على مدى العصور. ويؤكد هذا العلم أن تغير الدلالة من زمن إلى آخر يوجب أن يكون الزمان عنصرا محددا لها، فكثير من الكلمات تفهم على أوجه مختلفة من عصر إلى عصر.

× ولا ننسى علم اللغة الجغرافي، ويدرس تنوعات السلوك اللغوي التي ترجع إلى اختلاف العوامل الجغرافية من طقس ومناخ وتضاريس، من خلال تأثير هذه العوامل الجغرافية على الحراك الاجتماعي، وعلى طبيعة العلاقات بين الجماعات اللغوية. ويسهم هذا العلم في صنع الأطلس اللغوي الذي يحصر التنوعات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في اللهجات العربية الحديثة، ويرصدها ويصنفها، ويتتبع انتشارها ومسارات توزيعها. ودراسة اللهجات المحلية للأقاليم تفتح آفاق البحث في طرائق تطور اللغة، وتأثرها بمظاهر البيئة الجغرافية. ويؤكد هذا العلم أن المكان أيضا من أهم محددات الدلالة؛ حيث يمكن أن يكون للكلمة دلالة متعددة بتعدد الأماكن.

× أما اللسانيات الحاسوبية فتدرس المعالجة الحاسوبية للغة البشرية، وتحلل نسب الشيوع، وتقوم باسترجاع المعلومات، والتلخيص، والترجمة الآلية، وتخليق الكلام، وتعرّف الآلة على الكلام، وفهم اللغة. وعليها أن تهتم بالتلازم اللفظي والتعابير الاصطلاحية. وفي اهتمامنا بإنشاء مصادر محوسبة للتجمعات اللفظية يجب ألا نكتفي بجمعها من المعاجم العربية التي بين أيدينا؛ بل علينا الانطلاق من تصور لساني نظري، يبحث طبيعة التجمعات اللفظية، وأنماطَها المتباينة، ومتطلبات معالجتها معجميا. على أن يتوازى ذلك مع الجانب العملي التطبيقي، من خلال اعتماد مدوّنة لغوية ضخمة تُستخلص منها التجمعات اللفظية في سياقاتها النصية، ثم تأتي المعالجة المعجمية لها: تحليلا وتمثيلا.

سابعا: الاهتمام بالدراسات المقارنة والتقابلية بين العربية وغيرها من اللغات:

× تختص الدراسات المقارنة بالمقارنة بين لغتين أو أكثر، من اللغات التي تنتمي إلى مجموعة واحدة، تصنف فيها اللغات في أسرات تبعا لخصائصها. فتوضح ما بين اللغات من خلافات أو تقارب في الأصوات، أو البنية أو الدلالات، أو التراكيب. نَعلم أن العربية من اللغات السامية. وهذه اللغات ليست حلقات متصلة في سلسلة لغوية واحدة يمكن اعتبار إحداها أقدم اللغات والأخرى أحدث منها وهكذا، بل كلها تُعَد خلفا للغة واحدة هي اللغة السامية الأم، وهي لغة لا وجود لها الآن في صورة وثائق أو نقوش مكتوبة. من هنا يمكن دراسة كل من اللغات السامية على حدة، دراسة وصفية وتاريخية، ثم المقارنةُ بينها لاستخراج الظواهر المشتركة والمتباينة فيها، وهو ما قد يلقي الضوء على بعض خصائص السامية الأم.

× أما الدراسة التقابلية فتقوم على المقابلة بين لغتين: إما أن تكونا منفصلتين مختلفتين، أو من أسرة

لغوية واحدة. أو تقابل بين لهجتين، أو بين لغة ولهجة في مستويين لغويين متعاصرين؛ فتحدد الفروق بين النظامين اللغويين المدروسين. ونلحظ أن الطلاب الأجانب الذين يدرسون العربية يعمدون عادة إلى اختيار موضوعات تقابلية بين العربية ولغتهم الأم.

كانت هذه إطلالة عرضت فيها أفكارا للنهوض بالدراسات اللغوية العربية. وهي حصيلة دراسات متأنية لبحوث ارتكزت على مدونات حية، أو على استقصاء شامل لأبنية الفعل في المعاجم العربية الموسوعية، ومعايشة طويلة محبة للغة العربية، وغوص في أمهات كتبها، مع اطلاع على ما أمكن من الدراسات والمراجع الأجنبية، وحرص على أن تواكب اللغة العربية اللغاتِ الأجنبية في تطورها واتساع آفاقها وشمولها.

التوصيات

على ضوء ما سبق يوصى بما يلي:

١. بذل الجهد المضاعف في تعريب تعليم العلوم في مختلف المعاهد والجامعات.
٢. العناية القصوى بالترجمة الشاملة والسريعة للثقافة والعلوم والدوريات العلمية، ورعاية المترجمين. ونقل عمليات الترجمة من المستوى الفردي إلى مستوى الأعمال الجماعية الجادة، التي تهتم بها الحكومات وتراقبها، مع ضرورة التدقيق في اختيار المادة المترجمة.
٣. زيادة معدل سرعة العمل بمجامع اللغة العربية، والمؤسسات التي تهتم باللغة العربية، والعنايةِ بإعدادِ المعاجم في مختلف فروع المعرفة.
٤. الاهتمام بالدراسات العربية البينية، وتشجيع الباحثين على إعداد أطروحاتهم في مجالاتها المختلفة.

الحواشي والمراجع

1 Hartmann, R. R. K. and Gregory James, Dictionary of Lexicography. P. 22.Longman Dictionary of Contemporary English, Libraire du Liban. 1990.Introduction, No 13.

Hartmann, R. R. K. , Solving Language Problems from General to Applied Linguistics. University of Exeter Press. 1996. P. 101.Bo Svense›n , Practical Lexicography. (translated by John Sykes and Kerstin Schofield). Oxford University Press 1993. P.99, 109.

2 Ibid. P. 108-109. R. R. K. Hartmann, and Gregory James, Dictionary of Lexicography, P. 71.

Hartmann, R. R. K. , Solving Language Problems, P. 101. Longman Dictionary of Contemporary English. Introduction, No 12.

3 Bo Svense›n , Practical Lexicography , P. 100. Hartmann, R. R. K. and Gregory James, Dictionary of Lexicography. P. 108. Longman Dictionary of Phrasal Verbs, Rosemary Courtney. 1984, (introduction).Hartmann, R. R. K. , Solving Language Problems P. 101.

Bo Svense›n , Practical Lexicography. P.99, 109.

٤ وفاء كامل فايد: المجامع العربية وقضايا اللغة- عالم الكتب- القاهرة ٢٠٠٤- ص ٢٨١.

٥ مثل (لحن العامة) للكسائي، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة، و(درة الغواص فى أوهام الخواص) للحريري.

٦ المجامع العربية وقضايا اللغة – ص ٢٨٤.

٧ نفسه – ص ٢٨٥.

٨ عبد الرحمن أيوب : العربية ولهجاتها- ط١- مطابع سجل العرب- القاهرة ١٩٦٨- ص٣٥.

٩ المرجع السابق- ص ١٠٨ .

١٠ نفسه والصفحة نفسها، وأيضا: عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة- القسم الأول- مطبعة المعارف- بغداد ١٩٦٦- ص ٢٤٩.

١١ عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية- دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية ١٩٩٦- ص٢٠٦.

١٢ كارل نلينو: دراسة اللهجات وأهميتها- محاضر جلسات مجمع فؤاد الأول- دور الانعقاد الأول- ص ص ٢٨٩- ٢٩٢.

١٣ Fromkin.V & al: An Introduction to Language- Thomson Wardsworth. USA ،٧th ed. ٢٠٠٣. P. ٢٩١- ٢٩٥.

(تحت الطبع- المركز القومي

للترجمة، بعنوان: مدخل إلى اللغة- ترجمته: وفاء كامل فايد.)
السمات الفارقة يمكن التمثيل لها بصوتي الباء والميم اللذين يتماثلان في الصفات ولا يفرقهما إلا أن الميم خيشومي(أنفي) والباء شفهي، وكذلك صوتي السين والصاد اللذين لا يفرقهما إلا إطباق الصاد (تفخيمه) وانفتاح السين (ترقيقه).

١٤ Ibid، P ٣٢٢.

توضيح مصطلح القيود التتابعية: تشمل معرفتنا بعلم الأصوات معلومات عن تتابعات الأصوات المسموح بها والتتابعات غير المسموح بها. وكل لغة لها قيود تتابعية مختلفة، فمثلا في اللغة العربية: صوت اللام لا يسبق الشين مطلقا، ولا يقع صوت الهمزة عينا ولاما للفعل الثلاثي المضعف المجرد.

١٥ انظر: وفاء كامل فايد: تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح: دراسة استقصائية في القاموس المحيط- عالم الكتب- القاهرة ١٩٩١.

١٦ An Introduction to Language ، P ٣١٧- ٣٢٢.

١٧ يطلق مصطلح اللهجات الاجتماعية social dialects على الاختلافات اللهجية التي يبدو أنها تحدث بسبب عوامل اجتماعية، وذلك بالمقارنة مع اللهجات الإقليمية regional dialects التي تنتج عن العوامل الجغرافية كالجبال والأنهار. والحدود الاجتماعية التي تؤدي إلى اختلاف اللهجة كثيرة. ويمكن أن يكون أساسها اختلاف الحالة الاجتماعية والاقتصادية، أو اختلاف العِرْق أو العنصر، وبلد الأصل، بل وحتى الجنس.

١٨ تُحدَّد اللهجات على أساس مجموعات المتكلمين، ويصنف المتكلمون جغرافيًا بسهولة. ولكن التقسيم الأوضح للنوع البشري إلى مجموعات- نساء ورجال- لم يوَلِّد اهتماما لهجيا كبيرا حتى عام ١٩٧٣ حين كتب اللغوي روبين لاكوف أول مقالة اهتمت بشكل خاص بالنساء واللغة، وبعدها تولّى عدد متزايد من الدارسين البحث عن اللغة والنوع والمرأة والتمييز الجنسي، باحثين في الاختلافات بين كلام الذكر والأنثى وأسبابها الخفية.

١٩ اللغات الهجين pidgin لغات تجمع بين سمات اللغات المحلية في المناطق التي توجد فيها، واللغتين الفرنسية والإنجليزية. وقد انبثقت على طول سواحل الصين وإفريقيا وشمال غرب المحيط الهادي للولايات المتحدة لغات هجين كثيرة لتلائم الأوربيين. وقد استعملت قبائل متنوعة هذه اللغة بوصفها لغة مشتركة بينهم لأغراض تجارية، كما استخدموها مع التجار الأوربيين.

٢٠ عندما يتعرض الأطفال للغة هجين بوصفها مدخلا لغويا فإنهم يطورون لغة لا تظل لغة هجينا، بل تشترك في كثير من الخصائص الأساسية للغة بشرية غير هجين، تكون أكثر ثراءً وتعقيدًا من اللغة المختلطة التي سمعها الأطفال أثناء فترة نموهم. وتسمى مثل هذه اللغة «اللغة المولَّدة» creole.

٢١ يُشير مصطلح اللغة الخاصة argot إلى المفردات الفريدة التي تَستخدِمها مجموعات معينة من الناس لتيسير الاتصال، وتقديم وسيلة للترابط، واستبعاد الأغراب. مثل لغة الأطباء، ورجال القانون، والحرفيين، والخارجين على القانون.

٢٢ في بعض الأحيان، يمكن أن تكون الكلمات العامية كلمات مَحْظورة اجتماعيا taboo حيث تَحْظَى مصطلحات علمية أو معيارية تَحْمِل الدلالة ذاتها بالقبول في المجتمع. وتؤدّي الكلمات المَحْظورة اجتماعيا إلى استخدام العبارات المُلَطِّفة euphemisms ، وهي كلمات أو عبارات تَحلّ مَحَلّ التعبيرات التي يجب تجنّبها.

٢٣ يقع التحويل اللغوي code-switching عندما يَتَحَوَّل الأشخاص ثنائيو اللغة من لغة إلى أخرى في داخل الجملة الواحدة. وهو يعكس كلا من نظامي النحو العاملين وفي الوقت نفسه لا يُمَثِّل شكلا "مكسورا" من اللغة المستخدمة.

٢٤ التعريب من أشكال الاقتراض اللغوي، فقد اقترضت اللغة العربية كثيرا من الكلمات الاجنبية، حين شعر العرب بحاجتهم إلى كلمات تعبر عن الأشياء التي لم تكن مألوفة في حياتهم قبل احتكاكهم بالدول

المجاورة. فاستعانوا بألفاظ اللغات الأخرى للتعبير عنها، كما استعاروا من الكلمات ما
يعبر عن الحضارة والمدنية، وغيرها من المظاهر التي كانت تشيع بين الأمم العريقة المتاخمة لحدود شبه الجزيرة العربية.

٢٥ التغريب يحدث بنقل الكلمة– أو التعبير الأجنبي– إلى العربية، كما هو في لغته، ودون أن تكون اللغة في حاجة إليه، مع كتابته بحروفنا العربية.

٢٦ الازدواج اللغويdiglossia مصطلح يشير إلى المواقف اللغوية التي يتعايش فيها تنوعان لغويان ينتميان إلى لغة واحدة، ولكنهما يختلفان من الناحية الوظيفية؛ فكل تنوع لغوي يُخصَّص لأداء مجموعة مختلفة من الوظائف الاجتماعية والتواصلية داخل الجماعة اللغوية، ويمثلهما في اللغة العربية كل من العربية الفصحى التي تستخدم في المواقف الرسمية والجادة، والعامية التي تستخدم في المواقف غير الرسمية مثل المحادثات اليومية بين المتكلمين.

٢٧ الاقتراض اللغوي ظاهرة معروفة في اللغات، وتعد إحدى وسائل تنمية الثروة اللغوية. فاللغات تتبادل التأثير والتفاعل فيما بينها، ويستعين بعضها بألفاظ البعض الآخر وأساليبه في سد حاجته من الكلمات والتعبيرات التي يفتقر إليها.